

مائة عام من العزلة لغابريال غارسيا ماركيز

كان النقاد القدامى يرون أنّ الأدب قائم على محاكاة الطبيعة والحياة، بينما كان يرى ورد ثورث أنّ الأدب والإبداع لا ينبع من محاكاة الطبيعة بقدر ما ينبع من محاولة خيالية لإعادة تكوين الطبيعة وذلك بإلقاء شيء من الخيال على الحياة الاعتيادية، فقد شهد القرن الثامن عشر انتشار فن الرواية في إنجلترا، غير أنّ مبادئ النقد الكلاسيكية القديمة كانت مناسبة للتعامل مع الشعر والمسرح لكنها لم تكن مناسبة لتحليل ودراسة فن حديث كالكتابة النثرية آنذاك، لذلك فقد كانت أولى الدراسات النقدية التي تناولت فن الرواية هي تلك الدراسات التي كتبها الروائيون أنفسهم على شكل مقدّمات لأعمالهم الروائية، وعليه تأثرت حركة النقد في القرن التاسع عشر بالنظريات العلمية وبالاتجاهات السياسية وأيضا الاقتصادية ونظريات علم النفس التي كانت سائدة في تلك الفترة وكانت نظرية داروين النشوء والارتقاء تعدّ من أكثر النظريات العلمية التي تأثرت بها حركة النقد والأدب في الخارطة الأوروبية بالإضافة إلى نظريات فرويد في التحليل النفسي وآراء ماركس في السياسة والاقتصاد.

سيرة غابرييل غارسيا ماركيز:

روائي وصحفي كولومبي ولد في أراكاتاكا في كولومبيا في العام ١٩٢٧م. تم إرساله إلى مدرسة داخلية في بارانكويلا الميناء عند مصب نهر ماجدالينا، وكان صبيّا خجولا يكتب قصائد ساخرة، أو يرسم رسوما هزلية. ولقبه زملاؤه بالعجوز لجديته وقلة اهتمامه بالأنشطة الرياضية.

تعلم ماركيز من جدته الحكايات الشعبية والخرافية، وحدثته عن الأشباح والأرواح والقصص الخرافية بأسلوب سيظهر فيما بعد في معظم رواياته وأعماله التي مزج فيها بين الواقع والخيال.

اجتاز ماركيز المراحل الأولى من الدراسة الثانوية في المدرسة اليسوعية سان خوسيه عام ١٩٤٠م حيث نشر قصائده الأولى في المجلة المدرسية، وأكمل دراسته في

بوغوتا العاصمة، واختار دراسة القانون بجامعة كولومبيا الوطنية. تخرج ماركيز في عام ١٩٤٧م.

قرأ ماركيز رواية المسخ لفرانز كافكا في ترجمة قدّمها خورخي لويس بورخيس والتي ألهمته كثيرا. كان متيما بفكرة الكتابة ولكن ليس على شاكلة الأدب التقليدي بل على شاكلة قصص جدّته حيث تتداخل الأحداث غير النمطية وغير العادية كما لو كانا مجرّد جانب من جوانب الحياة اليومية.

وعلى الرغم من شغفه بالكتابة إلا أنّ ماركيز استمر في مسيرته في دراسة القانون عام ١٩٤٨م إرضاء لوالده. لكن الجامعة أغلقت أبوابها بعد أعمال شغب دامية اندلعت في ٩ أبريل من ذلك العام بسبب اغتيال الزعيم الشعبي خورخي إليشير الذي كافح ضد طائفة الأوليغارشية من أجل العدالة الاجتماعية وإصلاح النظام المالي.

بدأ العمل مراسلا لصحيفة اليونيفرسال، وفي عام ١٩٥٠م ترك مجال المحاماة ليتفرغ للصحافة، وعاد من جديد إلى بارانكويلا ليصبح مراسلا لصحيفة إلهيرالدو.

بدأت شهرة ماركيز العالمية عندما نشر روايته مائة عام من العزلة، وكان ذلك في يونيو عام ١٩٦٧م، وفي أسبوع واحد بيعت ثمانية آلاف نسخة، ومن هذا المنطلق بدأ نجاحه على نطاق أكبر وكان يتم بيع طبعة جديدة من الرواية كل أسبوع، وصولا لبيع نصف مليون نسخة خلال ثلاث سنوات، كما تم ترجمتها إلى أكثر من عشرين لغة، وحازت أربع جوائز دولية، ووصل ماركيز لقمة النجاح وعرفه الجمهور عندما كان بعمر الأربعين.

وعلى الرغم من امتلاك ماركيز مسكنا في باريس وبوغوتا وقرطاجنة إلا أنه قضى معظم حياته في مسكنه في المكسيك حيث استقر وعاش.

حصل غارثيا ماركيز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٢م، وذلك لما قدمه من أدب مختلف يجمع ما بين الخيال والواقع ودوره الأدبي المؤثر في أدب أمريكا اللاتينية. جوائز أخرى.

في عام ١٩٦٩م حصل ماركيز على جائزة كيانشانو عن رواية مئة عام من العزلة والتي اعتبرت أفضل كتاب أجنبي في فرنسا، وفي عام ١٩٧٠م نشرت الرواية باللغة الإنجليزية واختيرت كواحدة من أفضل اثني عشر كتابا في الولايات المتحدة في هذا العام. وبعدها بستين حصل على جائزة رومولو جايغوس في عام ١٩٧٢م، وجائزة

نيوستاد الدولية للأدب. كما ماركيز العديد من الجوائز والأوسمة مثل وسام نسر الأزتيك عام ١٩٨٢ ووسام جوقة الشرف الفرنسية عام ١٩٨١م.

كما منحته جامعة كولومبيا بنيويورك الدكتوراه الفخرية في الآداب.

أشهر أعمال ماركيز الروائية: ليس للكلونيل من يكاتبه، خريف البطريق، الحب في زمن الكوليرا، مائة عام من العزلة. كما أنّ له الكثير مجموعات القصص القصيرة والمقالات الأدبية.

أدت شعبية كتابات ماركيز أيضا إلى تكوينه صداقات عدة مع الزعماء السياسيين منهم الرئيس الكوبي فيدل كاسترو، وقد تسببت صداقته معه في الكثير من الجدل في عالم الأدب والسياسة.

كما كانت له صداقة مع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، إضافة إلى علاقاته مع الجماعات اليسارية الثورية في أمريكا اللاتينية خصوصا في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين.

أقر مكتب التحقيقات الفدرالي الأمريكي أنه قام بالتجسس على ماركيز، وقد بدأ هذا منذ عام ١٩٦١م حين وصل ماركيز مع زوجته وابنه الرضيع إلى نيويورك بصفة مراسل لوكالة الأنباء الكويتية، ومن الواضح أنّ عمل ماركيز لصالح مؤسسة رسمية كويتية كان كفيلا بوضعه تحت مراقبة تواصلت ٢٥ عاما حتى بعد أن حاز على جائزة نوبل للأدب.

لم يخف ماركيز مواقفه من السياسات الأمريكية، وكان يجاهر بأفكاره الثورية وبالعداء الصريح للإمبريالية.

اعتبرت الإدارة الأمريكية ماركيز لسنوات طويلة شخصا مخربا وغير مرغوب فيه، ورفضت منحه تأشيرة دخول إلى الأراضي الأمريكية، إلا أنّ الرئيس الأمريكي بيل كلينتون رفع عنه حظر السفر، وصرّح أن مئة عام من العزلة هي روايته المفضلة.

أصيب ماركيز بمرض رئوي ومات في عام ٢٠١٤م في مدينة مكسيكو عن عمر ٨٧ عاما.

أعلن رئيس كولومبيا الحداد عليه ثلاثة أيام باعتباره رمزا قوميا. وقال الرئيس المكسيكي أنريكة بينا نيتو: بالنيابة عن الشعب المكسيكي أعبر عن حزننا لوفاة أحد أعظم كتاب زماننا. وقال الرئيس الأمريكي أوباما: إنّ العالم فقد واحدا من أهم كتاب الرواية في عصرنا.

رواية مئة عام من العزلة:

نشرت هذه الرواية عام ١٩٦٧م، وطبع منها أكثر من ثلاثين مليون نسخة، وترجمت إلى ثلاثين لغة عالمية، وتقع في ١٣٠٠ صفحة. وكان لها تأثير هائل لدرجة أن جريدة نيويورك تايمز الأمريكية قالت إنها أول عمل أدبي بجانب سفر التكوين يجب على البشرية قراءته.

الرواية من أهم الأعمال في اللغة الإسبانية، وتعد من روائع الأدب العالمي على الرغم من أحداثها وشخصياتها المحلية جدا.

الرواية تستعرض سيرة مفصلة لعائلة بوينديا على مدى ستة أجيال، والذين يعيشون في مكان متخيل يدعى قرية ماكوندو، وهناك تكرار وتشابه أسماء الكثير من الشخصيات في الرواية.

تنتمي مئة عام من العزلة إلى مدرسة الواقعية السحرية التي تميّز بها الأدب الأمريكي اللاتيني منذ الستينات من القرن الماضي، وهو الأدب الذي تمتزج فيه عناصر الأسطورة والخيال بالواقع ليُعبّر بأساليب موضوعية عن مشاعر ذاتية تتجلى فيها القضايا الحقيقية بصيغ لا تنطبق على الحياة الواقعية.

ويلاحظ في أعمال ماركيز ولعه بعرض الهوية الثقافية الأمريكية اللاتينية وخصوصا ملامح عالم منطقة الكاريبي، وأيضا محاولته تفكيك القواعد الاجتماعية الراسخة في هذا الجزء الغريب من العالم، وذلك من خلال عمل أدبي كبير دخل بصاحبه التاريخ من أوسع أبوابه مبينا مجموعة المشاكل المزمنة التي تعاني منها الإنسانية عبر تاريخها.

فالغرض من الرواية أن تكون مرآة لواقع لم يحدث فقط في كولومبيا ولكنه حدث ويحدث في جميع أنحاء أميركا الجنوبية، القارة التي عاشت في فقر وظلم وعزلة عن العالم فترات زمنية طويلة.

ماكوندو:

ماكوندو المكان الوهمي التي تأسس في أدغال أميركا اللاتينية النائية والاستوائية، الحارة الممطرة، ترمز إلى القرية المنعزلة خلال العهود الاستعمارية، وما أعقبها من عهود تبعية واستغلال جائر. وفي هذه البلدة تعاقبت ستة أجيال من أسرة بوينديا في دوامة من

العزلة والأنانية لأفراد منفصلين عن بعضهم البعض ولو كانوا يقطنون المنزل الواحد، بما يجعل حياة هذه الأسرة تجسيدا لحياة الأسرة الأميركية اللاتينية الأرستقراطية التقليدية. أصبحت هذا المكان ماكوندو والذي هو من وحي خيال الكاتب معروفا في عالم الأدب، ويتم استدعاؤه باستمرار من قبل المفكرين والسياسيين.

وقد شرح ماركيز في سيرته الذاتية أنّ فكرة ماكوندو جاءت بعد رحلة قام بها مع والدته في طريق عودته إلى أراكاتاكا في القطار، وتوقفهما في محطة ببلدة نائية حيث تمتد مزرعة موز على امتداد الطريق.

وحكاية ماكوندو منذ تأسيسها حتى نهايتها تمثل دورة كاملة للثقافة والعالم، ذلك إلى جانب مناخ العنف الذي تتطور بين جنباته الشخصيات وهو ما يثير شعورها بالعزلة، تلك العزلة الناجمة عن ظروف الحياة الصعبة أكثر من القلق الوجودي للفرد.

وعبر الأحداث الواقعية الخيالية تمكنا الرواية من رؤية موضوعية للحياة المادية مجسدة بذاتية الخيال فتظهر ملامح غير مألوفة في حالات تماثل الحكايات الخرافية المفعمة بهواجس الحاضر فاسحة المكان لبيئة سحرية مع البؤس الاجتماعي والإنساني بطريقة يتطابق السحري فيها مع صلابة الواقع والعنف الذي يهيمن على الحياة اليومية. إنّ محور الرواية الفلسفي هو البحث عن المعنى الحقيقي للحياة، ومن خلال أحداث الرواية ومغامرات البحث عن المعنى الحقيقي للحياة، وبخاصة البحث عن ذلك الحب الصادق، لكن دون جدوى.

مرات نادرة نشأت فيها علاقة فيها قليل من الحب والسعادة، مثلا بين أوريليانو وبترا كوتس، وهذه العلاقة كادت أن تتكرر في نهاية الرواية بين أوريليانو بابيلونيا وأمارانتا أورسولا اللذين قررا إنجاب طفل كان يأمل والده بأن يعيد إحياء مجد الأسرة التي شارفت على الانقراض، إلا أنّ العاقبة كانت وخيمة حيث توفيت أمارانتا مباشرة بعد وضع طفل له ذيل خنزير كثمرة لعلاقة سفاح المحارم بين والديه، حيث تبين أنّ الأم لم تكن سوى عمّة الأب.

ومع هذا الطفل الذي أكله النمل لم يكتب البقاء لجيل سابع في أسرة بوينديا، ولكن ظهور هذا الحب ولو مع نهايته المأساوية يبشر بظاهرة ايجابية ربما قصد الكاتب من خلالها الإيحاء بأن الحب الحقيقي يرمز إلى القيم الاشتراكية التي آمن بها شخصا كبديل

لعالم العزلة والأوهام والهواجس العصبية التي ترمز إليها حياة وقيم أسرة بوينديا التقليدية البالية.

لقد نجح الكاتب ببراعة في أن يخلق تاريخ قرية كامل من نسج خياله منذ أن كانت بدايتها الأولى على يد خوسيه أركاديو بوينديا وعدد قليل من أصدقائه، وتلك القرية التي أخفى ليلها قصص حب بعضها ناجح وبعضها فاشل، مروراً بنمو القرية حتى أصبحت مدينة صغيرة توالى عليها الحروب الأهلية والفساد الحكومي والأطماع الأجنبية.

الغجر:

تبدأ الرواية بزيارات الغجر الموسمية لبلدة ماكوندو النائية وعرضهم فيها بضائعهم الجديدة القادمة من كل أنحاء العالم، كالجلد الاصطناعي والتلسكوبات حيث يتأثر الأب المؤسس للأسرة بهذه المعروضات وتسيطر عليه حالة من الهوس في البحث عن اكتشافات جديدة مشابهة دون أن يفلح بتحقيق طموحاته، فينتهي إلى حالة من الجنون تربطه أسرته على إثرها - لسنوات عديدة وحتى وفاته - بشجرة كستناء ضخمة في ساحة البيت، ولكنه يورث هوسه بالاكشافات الجديدة وشدة تركيزه وقوته البدنية الهائلة وروحه المغامرة وعزلته الذهنية إلى أبنائه وأحفاده.

من هنا تبدأ البلدة تفقد براءتها وعزلتها تدريجياً عندما تبدأ علاقتها بمحيطها الكبير، حيث تندلع الحروب الأهلية والصراعات السياسية التي تجلب العنف والموت إلى ماكوندو، حيث يلعب فيها ابن خوسيه أركاديو الأصغر أوريليانو دوراً بارزاً كزعيم للمتمردين المسلحين ضد الحكومة، ويكتسب صيتاً سيئاً بصفته عقيداً في الجيش الثوري. وبعد سلسلة من الانقلابات الدموية التي حصلت في البلدة حيث تغيرت حكوماتها مراراً بما في ذلك حكومة الدكتاتور أركاديو بوينديا الذي يعتبر الأشد قسوة في أسرة بوينديا كلها، وهو الذي أعدم بالرصاص في نهاية المطاف إثر انتفاضة دموية أدت إلى توقيع معاهدة سلام.

تعيش أسرة بوينديا سلسلة لا متناهية من أحداث الوفاة والزواج والعلاقات العاطفية الغريبة تتوالى فيها العلاقات الجنسية الجامحة لبعض أفرادها بما في ذلك ارتياد الرجال بيوت الدعارة وعلاقات سفاح القربى، وهي العلاقات التي جعلت أجيال الأسرة أسيرة

هاجس الخوف من العقاب الإلهي بولادة أطفال لهم ذيول الخنازير، بينما انزوى العديد من أفراد الأسرة في عزلة شبه دائمة في غرفهم المغلقة يشغلون أنفسهم بصناعة الأسماك الذهبية الصغيرة، أو البحث عن أسرار الأسرة ومصيرها داخل مخطوطات قديمة.

السلالة الفظيعة:

تتكرر الأسماء المتشابهة أورليانو وأركاديو، وحتى اسم العائلة بوينديا هو اسم مشترك للأم والأب والأجداد الأوائل الذين بحثوا طويلا عن طريق إلى البحر، ثم كان الاستقرار في مكان مناسب أطلق عليه خوسيه الجد الكبير اسم ماكوندو التي سرعان ما اكتشف مكانها الغجر الذين حملوا إليها ألعاب السيرك وممارسات السحر.

يمثل الجد الأول لأسرة بوينديا خوسيه أركاديو أحد أهم شخصيات الرواية، فهو صاحب شخصية زعيم مغامر ومؤسس عظيم وبريء لدرجة السذاجة، أمضى معظم سنوات حياته يبحث عن الاكتشافات الغريبة وهو بسبب ولعه بهذه الاكتشافات يهمل أفراد أسرته تماما، لذا الكثيرين من النقاد يشبهونه بشخصية آدم حيث أدى ابتعاده عن الإيمان بالسحر وسعيه من أجل المعرفة العلمية إلى زوال عائلته ومعها بلدة ماكاندو كلها. تماما كما حدث لآدم في الجنة.

وتلعب زوجته أورسولا دورا محوريا في الرواية لا يقل عن أهمية دور زوجها. وقد شهدت أورسولا حياة مديدة قاربت مئة عام، كما شهدت وفاة أبنائها الثلاثة، وعاصرت ولادة معظم أحفادها. وخلافا لغالبية أفراد الأسرة لم تعان أورسولا قلقا روحيا كبيرا بسبب تدينها وإيمانها العميق، إذ أمضت معظم حياتها تحاول جمع شمل الأسرة وزيادة ثروتها والحفاظ على بقائها، واستطاعت النجاح نسبيا في ذلك بفضل قسوتها أحيانا كما فعلت عندما طردت خوسيه أركاديو وربىكا عندما ارتبطا بعلاقة عاطفية محرمة. وعانت أورسولا تناقضا حادا فكانت من جهة ملتزمة بتقريب أفراد الأسرة بعضهم للبعض الآخر ومن جهة أخرى كانت تخشى أن يؤدي هذا القرب الى علاقات عاطفية محرمة.

العقيد أورليانو بوينديا:

يجسد العقيد أورليانو بوينديا صورة الجندي العظيم والقائد المقدم للقوات الليبرالية خلال الحرب الأهلية، بينما يلعب أدوارا أخرى في الرواية ككتابة الشعر، ولكنه

في سياق الرواية يبدو اتران وشجاعة أوريليانو بوينديا دون قيمة، إذ فشل في 32 معركة خاضها لينتهي بحالة من اليأس والإحباط أدت إلى لجوئه للتسلية والعبث، وهو ما يفسر جسارته في المعارك العسكرية وقدرة تركيزه على أعماله الفنية.

يحاول العقيد أوريليانو الانتحار إثر فشله في الحروب الأهلية والثورات التي قادها ويستنتج أنّ شعور الفخر هو العامل الوحيد الذي يبقى فريقين في حالة قتال. وفي نهاية المطاف يفقد العقيد أوريليانو بوينديا ذاكرته ويحرق جميع قصائده ويذيب أسماكه الذهبية الخمسة والعشرين معترفاً بأن عجلة الوقت تدور، وليس لشخص مثله فاقد للذاكرة سوى الحاضر الذي يعيشه.

ريبكا الطفلة اليتيمة:

من الشخصيات التي لعبت أدواراً بارزة في الرواية ريبكا وهي الطفلة اليتيمة التي تبتنها الأسرة. تصل ريبكا إلى منزل العائلة وهي لا تتقن الإسبانية، حاملة معها حقيبة قماش تحتوي على عظام والدها مع عادة غريبة هي ميلها لأكل التراب. تقع فيما بعد في غرام أخيها بالتبني المتزوج خوسيه أركاديو لتعيش باقي حياتها بعد وفاته الغامضة في عزلة مريرة.

مليكيادس الغجري:

يجسد الغجري الغامض صاحب السيرك المتنقل مليكيادس الذي اعتاد على زيارة ماكوندو دورا هاما منذ بداية الرواية وحتى نهايتها، فهو صلة الوصل مع العالم الخارجي، والذي كان يعرض البضائع المصنوعة في أنحاء مختلفة من العالم، وهو الذي باع خوسيه أركاديو الاختراعات الجديدة وأعطاه مختبراً ليجري أبحاثه العلمية، كما أنه صاحب المخطوطات الغامضة التي فشل جميع أفراد الأسرة في حل رموزها ما عدا الحفيد الأخير أوريليانو الذي قرأ فيها نبوءة مليكيادس المتعلقة بزوال أسرة بوينديا وبلدة ماكوندو.

الرأسمالية المتوحشة:

في اسقاط مباشر للرواية تتصاعد ممارسات استغلال الشركة الأميركية الأجنبية الاحتكارية المسيطرة على زراعة الموز بما فيها الاضراب الاحتجاجي الذي قمعه الجيش

بوحشية وأدى إلى مجزرة ذهب ضحيتها آلاف من المزارعين والعمال، وتنتهي أحداث الرواية بخمسة سنوات من المطر المتواصل والفيضانات التي تقضي على بلدة ماكوندو بمن فيها آخر أفراد عائلة بوينديا، وذلك تزامنا مع توصل بوينديا الأخير إلى فك رموز وطلاسم الغجر القديمة التي كانت قد تنبأت بالنهاية المأساوية للعائلة.

يلعب الأمريكي السيد هربرت ومدير أعماله براون دورا هاما في الرواية، فبعد حلوله ضيفا في أحد منازل ماكوندو وتذوقه ثمرة موز بالصدفة، يقرر السيد هربرت انشاء شركة لزراعة حقول الموز. واحتجاجاً على استغلال العمال الزراعيين يقوم خوسيه أركاديو بتنظيم إضراب ينتهي بمجزرة أدت إلى قتل ثلاثة آلاف من العمال المضربين في ساحة البلدة، وتقوم الشركة الأمريكية والحكومة الفاسدة بالتعقيم على حدوث هذه المجزرة التي لم يبق من يتذكرها سوى خوسيه أركاديو. ويعتقد بأن الكاتب استوحى هذه الحادثة من مجزرة حقيقية وقعت في مدينة سانتا مارتا الكولومبية عام ١٩٢٨م ضد عمال الموز.

ومن شخصيات الرواية البارزة بيلار تيرينا التي كانت عشيقة في نفس الوقت للأخوين أوريليانو وخوسيه أركاديو، وأنجبت ولدا من كليهما، حملا ذات الاسمين المتكررين أوريليانو وخوسيه أركاديو، وكانت قارئة كفّ ممتازة وعاشت مائة عام قريبة من معظم أفراد الأسرة تساعدهم من خلال نبوءاتها بالكفّ وأوراق اللعب.

أمارانتا:

هي آخر نساء أسرة بوينديا وهي التي عادت من أوروبا مع زوجها العجوز غاستون الذي تخلى عنها عندما أخبرته بعلاقتها العاطفية مع الابن غير الشرعي لابن أخيها أوريليانو، ودون أن تدري أنه ابن أخيها حملت منه وماتت بعد أن وضعت مولودها الذي له ذيل خنزير، وكان المولود الأخير في الأسرة قبل أن يأكله النمل.

أما ابن أخيها وعشيقتها أوريليانو فهو آخر رجال الأسرة، وهو المثال الأبرز للعزلة بين شخصيات الرواية، والأكثر تعطشا للمعرفة المدمرة. عاش أوريليانو في عزلة كلية فرضتها عليه جدته فرناندا كاربي بسبب خجلها من ولادته خارج إطار الزواج. وعاش حتى صار رجلا داخل غرفته منكبا على البحث في مخطوطات الغجري ميلكيداس، وما احتوته كتب العائلة مما أكسبه مستوى عاليا من المعرفة السحرية لم ينله سواه من أفراد أسرة بوينديا.

وبعد علاقته الغرامية مع عمته أمارانتا أورشولا نشهد انقراض آخر فرع من فروع الأسرة في مهده بينما كان النمل يأكل طفلهما الذي ولد بذيل خنزير. واستطاع أوريليانو آخر نسل عائلة بوينديا تفسير نبوءة العجوز الغجري ميلكيادس عن دمار ماكوندو، وتزامن لحظة موته مع فكه لرموز النبوءة.

مقاطع من نص الرواية:

الأب المؤسس:

عاد الغجر ومعهم هذه المرة منظر مقرب وعدسة بحجم كبير، عرضوا هذه الاختراعات على أنها آخر اكتشافات يهود أمستردام، أجلسوا غجرية صغيرة في أقصى القرية ونصبوا المنظار عند مدخل خيمتهم. ينظر أهل القرية من خلال المنظار فيرون الغجرية في تناول اليد، وكان ميلكيادس يعلن قائلاً: لقد ألغى العلم المسافات، وعمما قريب سيتمكن الانسان من رؤية ما يحدث في أي مكان من الأرض دون أن يتحرك من بيته.

أعلن لهم خوسيه أركاديو وهو يرتجف من الحمى مستنفذا من طول السهر واحتدام مخيلته اكتشافه الذي توصل اليه، أن الأرض مكورة مثل برتقالة. لقد فقدت أورشولا صبرها وصاحت قائلة له: إذا كنت ستجن فافعل ذلك وحدك ولكن لا تحاول أن تلقن الصغار أفكارك الغجرية.

مخاوف الحفيد الأخير:

معذبا باليقين أنه أخو زوجته هرب أوريليانو إلى مقر الخورانية لبحث في الأرشف الذي أتلفته الرطوبة والعث عن اشارة أكيدة إلى نسبه، وكانت أقدم شهادة معمودية وجدها هي الخاصة بأمارانتا بوينديا وقد عمدها بعد بلوغها سن المراهقة الأب نيكانور رينا في الحقبه التي كان يحاول فيها اثبات وجود الرب، ووصل به الأمر إلى ايهام نفسه بأنه قد يكون واحدا من الاوريليانات السبعة عشر فتتبع شهادات ميلادهم عبر أربعة مجلدات إلا أن تواريخ تعميدهم كانت أبعد بكثير من عمره، وحين رآه الكاهن المصاب بالتهاب المفاصل وكان يراقبه من أرجوحته تائها في متاهات الدم والنسب، ومرتجفا من القلق، سأله مشفقا عن اسمه، فأجابه: "اوريليانو بويندا، لا تمت نفسك في البحث". هتف الكاهن

بقناعة حاسمة وأضاف قبل سنوات طويلة كان هنا شارع بهذا الاسم، وكانت لدى الناس في تلك الأزمنة عادة إطلاق أسماء الشوارع على أبنائهم. ارتجف أوريليانو من الغضب وقال:

. آه.. أنت أيضا لا تؤمن بذلك اذن ...!!

. بماذا لا تؤمن؟

. بأن الكولونيل أوريليانو بوينديا خاض اثنتين وثلاثين حربا أهلية خسرها جميعا، وأن الجيش حاصر ثلاثة آلاف عامل موز وقتلهم بالرشاشات، وحملت الجثث في قطار من مائتي عربة لترميمهم في البحر.

تأمله الكاهن بنظرة مشفقة وتنهد قائلا: آه.. يا بني، أنا يكفيني أن أكون متأكدا من أننا أنا وأنت موجودان في هذه اللحظة.

وهكذا كان على أوريليانو وأمارانتا أورشولا أن يتقبلا حكاية السلة، لا لأنهما آمنا بها وإنما لأنها كانت تنقذهما من مخاوفهما من المستقبل القادم.

ماركيز ورسالة الوداع الأخيرة:

لو شاء ربي أن يهبني حياة أخرى فسأرتدي ملابس بسيطة، وأستلقي على الأرض ليس فقط عاري الجسد وإنما عاري الروح أيضا. سأبرهن للناس كم يخطئون عندما يعتقدون أنهم لن يكونوا عشاقا متى شاخوا دون أن يدروا أنهم يشيخون إذا توقفوا عن العشق.

للطفل سوف أعطي الأجنحة لكنني سأدعه يتعلم التحليق وحده. أما الكهول سأعلمهم أن الموت لا يأتي مع الشيخوخة بل بفعل النسيان.

لقد تعلمت منكم الكثير أيها البشر، تعلمت أن الجميع يريد العيش في قمة الجبل غير مدركين أن سر السعادة يكمن في تسلقه. تعلمت أن المولود الجديد حين يشد على إصبع أبيه للمرة الأولى فذلك يعني أنه أمسك بها إلى الأبد. تعلمت أن الإنسان يحق له أن ينظر من فوق إلى الآخر فقط حين يجب أن يساعده على الوقوف. تعلمت منكم أشياء كثيرة لكن قلة منها ستفيدني لأنها عندما تعد وتجهز لي حقيبتى أكون أودع الحياة.

قل دائما ما تشعر به وافعل ما تفكر فيه. لو كنت أعرف أنها المرة الأخيرة التي أراك فيها نائمة لكنت ضمنتك بشدة بين ذراعي وتضرعت إلى الله أن يجعلني حارسا لروحك.

لو كنت أعرف أنها الدقائق الأخيرة التي أراك فيها لقلت "أحبك" ولتجاهلت بخجل أنك تعرفين ذلك.

هناك دوما يوم غد، والحياة تمنحنا الفرصة لنفعل الأفضل، لكن لو أنني مخطئ وهذا هو يومي الأخير فأحب أن أقول كم أحبك وأنني لن أنساك أبدا.
ولأن الغد ليس مضمونا لا للشباب ولا للمسنة، ربما تكون في هذا اليوم هي المرة الأخيرة التي ترى فيها أولئك الذين تحبهم. فلا تنتظر أكثر مضي اليوم لأن الغد قد لا يأتي ولا بد أن تندم على اليوم الذي لم تجد فيه الوقت من أجل ابتسامة أخيرة.